

التغير الاجتماعي – الاقتصادي في المجتمع النبطي محمود التكريتي

أسهمت المصادر العربية وبخاصة في العصر العباسي في الكتابة عن دولة الأنباط، في حين قدم المؤرخون المحدثون من المستشرقين والعرب بعض المعلومات عن دولتهم. كان ظهورهم على مسرح التاريخ في حدود سنة 587 ق.م حيث استقروا في البلاد التي يسكنها (الأدوميين) جنوب بلاد الشام في منطقة شرق الأردن، ويعود الفضل الى ما توفر في هذه المنطقة من عوامل استقطبتهم حيث صلحت ان تكون محطة للقوافل ولأهميتها بالنسبة للتجارة الخارجية بسبب توفر المياه والآبار فيها، ولهذا تعرضت بلادهم الى غزوات خارجية لأقوام من مصر وسوريا، وشهدت دولتهم تغييرات سياسية وتطورات اقتصادية وتحولات اجتماعية:

1 - **التحولات الاجتماعية:** فالأنباط عرب يتكلمون اللغة العربية ولغتهم الكتابية مع كونها آرامية فإنها تتم عن ان أصحابها عرب ويؤيد ذلك إجماع مؤرخي اليونان على تسميتهم عرباً. وانهم من عرب شمال الجزيرة العربية، ولعلمهم اقرب الأقوام القديمة الى عرب الحجاز وحياتهم الأولى اقرب الى البداوة وما ان أقاموا دولتهم واستقروا مال الناس الى الدعة والترف وحياة القصور وامتحنوا الزراعة والصناعة الى جانب التجارة، وذكر سترابون ان الرقيق في مجتمعهم قليلون ولكن هذا لا يعني اختفاء الفوارق الاجتماعية والاقتصادية بينهم، ومجتمع الأنباط يتكون من الأحرار والعبيد والأغنياء والفقراء والحكام والمحكومين، وان لاختفاء تلك الفوارق الاجتماعية على ما يبدو اثر واضح في اعتزازهم بحريتهم وقتالهم صفاً واحداً ضد عدوهم، مما يشكل تحولاً اجتماعياً. لقد حفلت القصور عندهم بإقامة المآدب وحفلات الشرب وخاصة الأغنياء، ومن عاداتهم انهم يمشون دون ان يلبسوا السترات الرومانية الطويلة. وتشكل الأسرة في مجتمعهم الأساس التي يقوم عليها المجتمع والروابط الاجتماعية قوية ويحرص الناس على النسب ويفضلون التزاوج بينهم، وهم بذلك يحملون بعض من عادات العرب وتقاليدهم، أما المرأة لديهم فتتمتع بمركز جيد، ولها الحق في التملك والوراثة، ومن المظاهر الاجتماعية الأخرى هو حرص ملوك الأنباط على التعبير عن مشاعرهم تجاه شعبهم من خلال الأوصاف التي وصفوا بها أنفسهم الى جانب قوة الرابطة التي تربط الملك بشعبه والعلاقة بين الطرفين تقوم على المحبة والرحمة. وهذا لا يمنع من ان الأنباط كانوا قد الهوا بعض ملوكهم مما يلفت النظر الى انهم اختلفوا عن الأقوام الأخرى، أما ديانتهم فقد عبدوا آلهة متعددة من أعظمها ذو شروى كما عبدوا اللات (آلهة القمر) والعزى، وهبل وعشثروت. وان الملاحظ ان عبادة ذو شروى ظلت شمال الحجاز حتى ظهور الإسلام حيث ان عمر بن

حي هو الذي ادخل عبادة الأصنام الى مكة، وجاء بها من الأنباط، وهذا يظهر لنا ان للأنباط دور في ظهور عبادة الأوثان في الجزيرة العربية.

2 - التحولات الاقتصادية:

تشكل التجارة في دولة الأنباط المهنة الرئيسية للسكان كما تشكل حجر الزاوية التي قامت عليها حضارة الأنباط بسبب موقعها على طريق التجارة الدولية بين الشرق والغرب. لقد نشأت بطرا في الأساس كمحطة للقوافل التجارية حتى أصبحت في القرن الأول قبل الميلاد سوقاً تجارياً سيطرت على طريق غزة وبصرى ودمشق وايلة (التجارة البرية). ونشأت بين سكان بطرا وغيرها من مدن الأنباط مجموعة من الحرف كما ظهرت بينهم بعض مظاهر النشاط التجاري، ولم يقدم النبطيين الخدمات للقوافل التجارية فحسب بل كانوا هم أنفسهم يمارسون التجارة على نطاق واسع بالبضائع المحلية والمستوردة مما يدل على التحول الاقتصادي الذي اسهم في الازدهار الحضاري لدولتهم، كما اسهم ملوكهم في ضرب النقود وسكها.

أما الصناعة: فهي الأخرى نالت اهتمام ملوكهم فكانت مدينة البتراء مركزاً لصناعة الخزف، كما اشتهروا بصناعة الفناديل وبرعوا في سك النقود من البرونز والفضة كما صنعوا التماثيل وتفننوا بصناعة الحلي الصغيرة واستعملوا الحديد لصنع الأدوات الزراعية وقطع الصخور كما صنعوا الأواني المعدنية المستخدمة للطبخ.

أما الزراعة: فقد شهدت الزراعة تطوراً ملحوظاً وخاصة بعد منافسة الرومان لهم في التجارة مما غير وجهتهم الى الاهتمام بالزراعة واهتموا بالري واقدموا على استصلاح الأراضي، مما يثبت ان دولة الأنباط شهدت تحولات اقتصادية شملت مختلف الأنشطة التجارية والصناعية والزراعية وهذا يؤكد قدرتهم على الإبداع والابتكار الحضاري التي نعمت بها دولتهم طيلة فترة حكمها حتى زالت تلك الدولة على يد الرومان بقيادة تراجان في سنة 106م، مخلفة وراءها جملة من الآثار وتاريخاً حافلاً بالأخبار، تلکم هي دولة الأنباط.

BAIT AL-ANBAT

بيت الأنباط